306262 - شرح حديث : كل امرئ في ظل صدقته

السؤال

هل حديث : (كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ) أَوْ قَالَ : (يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ) هل معناه أن الصدقه تكفي الإنسان حق الله تعالى ويتبقى عليه حق العباد ؟

الإجابة المفصلة

أولا:

عن يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، أَنَّ أَبَا الْخَيْرِ، حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **« كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ - أَوْ قَالَ: يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ -»** .

قَالَ يَزِيدُ: " وَكَانَ أَبُو الْخَيْرِ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ إِلَّا تَصَدَّقَ فِيهِ بِشَيْءٍ ، وَلَوْ كَعْكَةً، أَوْ بَصَلَةً ، أَوْ كَذَا ".

رواه الإمام أحمد في "المسند" (28 / 568) وغيره، وصححه محققو المسند، والشيخ الألباني في "تخريج أحاديث مشكلة الفقر" (ص 75).

فقوله صلى الله عليه وسلم: **« كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ »**.

هذا متعلق بأرض الموقف، حين يُبعث الناس من قبورهم وقبل أن يبدأ حسابهم ، حيث تدنو الشمس من العباد في هذا الموقف ، ويكونون بسببها في كرب عظيم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيُنْفِذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ، - فَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ - »** رواه البخاري (3361) ، ومسلم (194).

وعَنْ سُلَيْم بْنِ عَامِرٍ، حَدَّثَنِي الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **« تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ»** - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ! مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ -.

قَالَ: **«فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»**.

قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ " رواه مسلم (2864).

وهذا الكرب العظيم ينجو منه المؤمنون أصحاب الأعمال الصالحة ، ومنهم أصحاب الصدقات، حيث يظهر من ثوابها أنها تقي صاحبها حرّ ذلك اليوم.

قال المباركفوري رحمه الله تعالى:

" (كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ). قال الأمير اليماني: كون الرجل في ظل صدقته: يحتمل الحقيقة ، وأنها تأتي أعيان الصدقة ، فتدفع عنه حر الشمس.

أو المراد : في كنفها ، وحمايتها. انتهى.

قلت: الحمل على الحقيقة هو المعتمد " انتهى من "مرعاة المفاتيح" (6 / 361).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

" النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة، فالناس تكون الشمس فوق رؤوسهم قدر ميل، وهؤلاء المتصدقون، وعلى رأس صدقاتهم الزكاة: يكونون في ظل صدقاتهم يوم القيامة " انتهى من " شرح رياض الصالحين" (5 / 238).

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

" (فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ) ...

والصدقة قد تكون ظلًا، فإن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل المعاني أعيانًا، والأعيان معاني، فهذه الصدقة، وإن كانت عملا مضى ، وانقضى وهو فعل من أفعاله؛ لكن المتصدَّق به شيء محسوس، قد يؤتى به يوم القيامة بصفة شيء محسوس....

ففي هذا الحديث دليل على فضيلة الصدقة، وعلى أنها تكون يوم القيامة ظلا لصاحبها، وأنها تكون ظلا في جميع يوم القيامة، حتى يفصل بين الناس" انتهى من "شرح بلوغ المرام" (3 / 102).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ - أَوْ قَالَ: يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ).

أي حتى يحاسَب الناس على أعمالهم، ويفصل بين أهل الجنة وأهل النار.

فالفصل أعم من أن يكون بين الظالم والمظلوم، فالمقصود أن الناس يحاسبون على أعمالهم، فيفصل بين المؤمنين والكفار، وبين أهل الجنة وأهل النار.

ولهذا سمي يوم القيامة يوم الفصل: كقوله تعالى: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) الدخان /40 .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

" ثم قال: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) وهو يوم القيامة، يفصل الله فيه بين الخلائق، فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين " انتهى من"تفسير ابن كثير" (7 / 259).

فالحاصل: أن الحديث حول الثواب المعجل للمتصدق، في أرض الموقف، قبل أن يحاسب الناس ويساق كل إنسان إلى مثواه.

ثانيا:

الحديث ليس فيه تعرض لكون الصدقة تسقط حقوق الله ، ولا تسقط حقوق العباد الذين ظلمهم في الدنيا، أو لا ؛ فلا تعرض في الحديث لذلك، بنفي ولا إثبات.

لكن الله تعالى قد يتجاوز عن بعض ذنوب المتصدق جزاء صدقته كما تدل على ذلك بعض النصوص؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ هود/114 - 115 .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

" وقوله: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) يقول: إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة " انتهى من "تفسير ابن كثير" (4 / 355).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى:

" فهذه الصلوات الخمس، وما ألحق بها من التطوعات: من أكبر الحسنات، وهي: مع أنها حسنات تقرب إلى الله، وتوجب الثواب، فإنها تذهب السيئات وتمحوها، والمراد بذلك: الصغائر، كما قيدتها الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم... " انتهى من "تفسير السعدي" (ص 391).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»** رواه الترمذي (1987)، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ "، وصححه الألباني بمجموع طرقه في "السلسة الصحيحة" (3 / 361).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **« الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»** رواه الترمذي (1924) وقال: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ "، ورواه أبو داود (4941)، وصححه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (2 / 594).

وراجعي للأهمية جواب السؤال رقم : (163383).

وأما حقوق العباد فدلت نصوص أخرى، أن الخروج من هذه المظالم لا يتم عبر كثرة نوافل الطاعات، من صدقات وصلاة، وإنما بالتوبة الصادقة برد المظالم إلى أصحابها، أو استحلالهم منها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ »** رواه البخاري (2449).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: **« أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟»** قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ: **«إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي ، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ ، وَصِيَامٍ ، وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ »** رواه مسلم (2581) .

وراجعي لمزيد الفائدة جواب السؤال رقم : (65649).

والله أعلم.